لقاء

فلسطين في بينالي البندقية

فيصل صالح من أجل سردية بصرية لشعب يقاوم

كيف نقدّم الإبداع الفلسطيني بأفضل طريقة؟ عن السؤال يجيب مدير «متحف فلسطين - أميركا» في حديث لـ«العربي الجديد» عن المشاركة الفلسطينية في «بينالي البندقية»

البندقية ـ **العربي الجديد**

في «غاليري 8» وسط «قصر مورا» التاريخي بمدينة البندقية، تتجاور أعمال تسعة عشر فناناً فلسطينياً تتنوّع بين التطريز والرسم والنحت والتصوير الفوتوغرافي وتركيب بوسائط متعددة، إلى جانب أفلام ومقتطفات من التاريخ الشفهي، في مساحة تبلغ 560 قدماً مربعاً. المعرض الذي افتُتح تحت عنوان «من فلسطين مع الفن» يمثّل أوسع مشاركة في تاريخ «بينالي البندقية» منذ تأسيسه عام 1895، بعد محاولات متواصلة حثيثة لتقديم الفن الفلسطيني وواجهتها معوّقات عديدة بذريعة أنّ ذلك يأتي في سياق معاداة السامية، كما كانت تزعم بعض التيارات في الصحافة الإيطالية. مشاركة ينظّمها «متحف فلسطين - أميركا» الذي تأسّس عام 2018، ضمن البينالي الذي انطلق في الثالث والعشرين من الشهر الماضي، ويتواصل حتى السابع والعشرين من تشرين الثاني/ نوفمبر المقبل، حيث يحضر كلّ من الفنانَين: محمد الحاج، وسناء فرح بشارة، وسمر الحسيني، وغسان أبو لبن، وجاكلين بجاني، وسامية حلبي، وكريم أبو شقرة، ونبيل عناني، ورانيا مطر، ونمير قاسم، وتقي سباتين، وسوزان بشناق، وإبراهيم العرّة، ولوكس إتيرنا، وحنان عوض، ومحمد خليل، وسلمان أبو ستة، وناديا إرشيد غيلبرت، ورولا حلواني. في حديثه إلى «العربي الجديد»، يشير مؤسّس ومدير المتحف فيصل صالح إلى أنّ «مشاركات لفنانين فلسطينيين في البينالي خلال سنوات سابقة بصورة فردية أو جماعية لم تزد عضويتها عن سبعة أشخاص، وكلّ هذه المشاركات كانت منظّمة بدعم مالي من عدد من المؤسسات أو الغاليريهات»، مستدركاً «مع أن هذه الجهود كانت مهمّة جدّاً، لأنها قدّمت الرواية والفن الفلسطيني قدر الإمكان. ولأن الناس في المجتمعات الغربية لا تعرف كثيراً عن إبداع الفلسطينيين. لكن هذه المشاركات كانت في الغالب تتمّ تحت غطاء مؤسسات أو غاليريهات غير فلسطينية (عربية أو أجنبية). وهذا كان يُضعف الفكرة الترويجية لفنون فلسطين». ويضيف: «عندما شارك «متحف فلسطين - أميركا» لأوّل مرة، واجهته صعوبة كبيرة، من ناحية التمثيل الرسمية، حيث تتدخّل السياسة في الفن وتنظيم المظاهرات الثقافية. وبرز السؤال المركزي لدينا كالتالي: كيف نقف أمام العالم لنسرد روايتنا الحقيقية؟ هل نقف فرادى تحت مظلّات الآخرين؟ أم تكون لنا منصتنا المستقلة؟ وهذا ما لا تريد الصهيونية العالمية تحقّقه».

ويوضّح صالح أنّ مؤسسة المتحف نجحت في كسر الطوق لأوّل مرة، وأصبح للفن الفلسطيني منصته الخاصة ليخاطب كل الناس كمؤسسة فلسطينية باسم فلسطين، وهو إنجاز يحمل بعداً سياسياً ومعنوياً للفلسطينيين، في وقت تسعى خلاله «إسرائيل» واللوبي الصهيوني في العالم لإبعاد الفلسطينيين عن المنصّات المؤثرة في العالم ليشرحوا ويقدموا روايتهم، من أجل طمس الجرائم التي يرتكبها جيش الاحتلال.

ويشير إلى أنّ الدعاية الصهيونية دأبت على مدى عقود طويلة على شيطنة الشعب الفلسطيني وتصوير فلسطين على أنها أرض بلا شعب، وأن من يعيش في تلك البقعة من العالم ما هم إلا مجموعة من البدو الرحّل، لذلك تمّ اختيار عنوان المعرض الذي يحيل إلى أن الشعب الفلسطيني عرف الثقافة والفنون من قرون طويلة مضت، ولديه تراثه الغني بالإبداع، وأن كلمة «مِن» تعني وجود مكان اسمه فلسطين بخلاف ادعاءات العدو.

وعند سؤاله عن الرؤية التي حكمت اختيار الفنانين التسعة عشر وأعمالهم الثلاثين، يعود صالح إلى النقاشات المعمّقة التي أجريت بين منظّمي هذه المشاركة، حيث طرح كان السؤال الجوهري الآتي: كيف نقدّم الإبداع الفلسطيني للغرب بأفضل شكل وطريقة؟ لتمثل الاختيارات مجمل أوجه الإبداع المعاصر بشكل أفقي، من حيث الفئات العمرية من المبدعين، ومن حيث أساليب ولغات الإبداع المختلفة. ويتابع: «إننا لا نسعى إلى إظهار فنان عبقري بذاته (ولدينا الكثير منهم)، بقدر ما كنّا نسعى إلى إبراز ثقافة شعب بكامله وعرض رموزه الوطنية كالأثواب المطرزة وشجرة الزيتون ومفاتيح البيوت التي ترمز إلى حق العودة وخريطة فلسطين من سنة 1877، والتي تمثل فلسطين من النهر إلى البحر.

من جهة أخرى، يوضّح صالح بأنه بعد تخطيط وتحضير استغرقت مدّته حوالي سبعة شهور، تمّ افتتاح أول متحف فلسطيني في النصف الغربي من الكرة الأرضية، بهدف عرض الإبداع الفني الفلسطيني بكل أنواعه أمام الجمهور هناك، وتعزيز الهوية الفلسطينية في صفوف الفلسطينيين أينما كانوا، وسرد الرواية الفلسطينية للعالم أجمع عن طريق الفن.

ويذكّر بأن المتحف يحتوي أكثر من مئتي عمل فني تعود إلى حوالي سبعين فناناً فلسطينياً من كافة أنحاء فلسطين المحتلة والشتات، كما يوجد عدد من التماثيل البرونزية، وأكثر من مئة صورة تاريخية، وكذلك العديد من الأثواب الفلسطينية الأصلية المطرزة، والكتب القديمة النادرة، وجدارية تصور المناضلة الأميركية راتشيل كوري وعمل فسيفساء للفنانة رزان النجار، بالإضافة الى مئتين من رسومات أطفال غزة.

فيصل صالح، البندقية، أيار 2022 (لوكس إتيرنا)

تدخّل السياسة في الفن وتنظيم المظاهرات الثقافية

يسعى اللوبي الصهيوني لإبعادنا عن المنصّات المؤثرة

موعدٌ لنظرة عامّة

على خريطة الفنّ المعاصر، يُعدّ بينالي البندقية من أبرز المواعيد التي تُشدّ الأنظار إليها. وبخلاف المهرجانات الفنية البارزة عالمياً، التي تلتفت أساسا الى التجارب الفردية، يتيح «البندقية» التعرُّف إلى المشهد الفنّي العام في البلدان المشاركة، من خلال تخصيص مساحة عرض مشتركة للفنّانين القادمين من كلّ بلد. واضافة إلى فلسطين، تُشارك أحداً منها فقط شفغ لصاحبه قبل أن يقتله - في العالم الواقعي - قاطعُ طريق.

تحويب

حزنُ النحاة

انس الاسعد

قبل الكثير عن عداوة شائعة بين النُّحاة والشعراء. ولنكُن واقعيين، ألم ينتصر الشعر في تلك الدعوى؟ وُصِفَ الشعراء بأنّهم يحلّقون عالياً، أمّا النُّحاة فمَناطقة لا قلبَ لهم، استبدّ الأوائل بسِحر البيان فهُم العُشّاق والأمراء، وفي أسوء الأحوال «قاب قوسين» من ذلك، ولم يتركوا للآخرين سوى لكَمات يُحصونها من عراك زيد وعمرو الذي لا ينقطع.

وفي التمثيل على تلك الشائعة، يذهب الكثيرون لجرّ اسمين كبيرين من كلّ فريق إلى النزال، واستحضار الخصومة بينهما. يستعينُ الفريق الأوّل بالمتنبّي فكأنّهم قد حَسموا المعركة قبل أن تبدأ، ولو تزوّد الفريق الثاني بصاحب «التذكرة» أبي عليّ الفارسي أو متنبّي النُّحاة إن صحّ التقديم الذي لا يُنجي أبداً من صاحبنا الشاعر، وكأنّما المُواجهة حزن أبدي لا شفاء منه.

في حقيقة الأمر، كانت هناك عداوة حاضرة بين الاسمين، وترجع إلى مزيج ممّا يشجر بين الناس من سياسة وتحزّب، إلّا أنّ شيئاً لم يبدُها مثل شعر المتنبي نفسه، خمسة أبيات قالها ذات يوم ابن جنّي على مسامع معلّمه أبي عليّ فاستحال ذلك الكُره المشحون إلى محبّة خالصة. وعادةً ما تُستذكر تلك الأبيات بمتوالية مشوَّهة كلّما قال التلميذُ بيتاً حارَ المُعلّم في أمره ولن يكونُ يا تُرى؟ وهكذا حتّى أسقطَ في يده.

بغضّ النظر عن تلك الأسطورة وعددها السحري «خمسة»، لو أنّ واحداً منها فقط شفعَ لصاحبه قبل أن يقتله - في العالم الواقعي - قاطعُ طريق.

قصّة

ثمّ صارَ خفيفاً كأنّما يطير

صالح العريان

وداد طه

رافعًا رأسه، سعيدًا وخاليًا من الهموم مشى صالح إلى بيته بعد أن قدّم استقالته من عمل أمضى فيه ثلاثين عامًا. داعب أوراق الشّجر القليلة التي صادفها في شوارع المدينة، انتبه إلى الطّيور، ابتسم للعابرين الذين كانوا يبتعدون عنه صارخين مغمضي عيونهم لأعنين ومستغفرين الله.

صالح الذي جاوز الخامسة والخمسين، الذي يشكو من الم دائم في عينيه ورقبته واكتافه، والذي لم يجد أحدًا يدلّكها له بعد هجرة ولديه ووفاة زوجته، ولا يستطيع أن يدفع مقابل جلسة مساج قد تريحه. نظر إلى صور المرشّحين للانتخابات غير مصدّق، لقد كبر وهذه الوجوه معلّقة في السماء. رأى لوحة إعلانيّة لامرأة تبتسم وهي تعرض فوق فخذها مُسمُرًا، خطر له أنّ العالم منقسم بين غريبين: غريّ وقع بممارسه سياسيو هذا العالم على طريقة الحرباء، يتكلّمون بالحقّ ويفعلون الأباطيل. وغريّ مخدّر مُشتهى يثير غريزة الحاجة ويشبعها عن طريق الاكتناز والاستهلاك، تمارسه الدعايات التجارية التي يستفيد منها السياسيّون، وتمثّله نسوة فقيرات إلى الإحساس بقيمة ما في حياتهنّ. ازّاح الفكرة سريعًا، يريد أن ينعم بكلّ لحظة حريّة وتلك الأفكار مثقلة وغير ضرورية بل مقيتة، وتشعره بثقل في رجله وهو يشعر للمرّة الأولى أنّه حرّ.

في زمن الحرب، ترك صالح بيته عاريًا كما غادره صباح اليوم، الفرق أنّه وقتها كان طفلًا. يذكر أنّه كان يستر عورته بكلسون لأخيه الأكبر، فضفاض ويُظهر كلّ ما تحته. اشمئزاز الآخرين جعله يمشي بين الشجر المتوفّر في طرقات مدينته كي يستر عورته. كان طفلًا وكان عريه يومها يثير حنق الأمّهات وشعور الآباء بالعجز المخزي. لم تعد الملاجئ آمنة، هرولت يومها أمّه نحو الزاوية التي كان والده جالسًا فيها، لم يفهم تلك الحركة المتسارعة من الجميع، وجد نفسه في الشّارع، لفح هواء تموز الساخن وجنتيه وعينيه وإليته، كان لذيذًا وعزيزًا بعد شهرين قضاهما في الملجأ. استعجلته أمّه، ركبوا السيارة، الهواء يلفح عينيه، جلس في حجر أبيه، سيارات معدودة على الطريق لكنّها تتزاحم على الرّحيل. «أبي هل انتهت الحرب؟ أمي أليس هذا طريق جزين؟ هل ستأخذنا في نزهة؟»، لم يُجبْ أحدٌ ابنَ عمّته المسكين.

أمّا هو فاستشعر الخوف. راقب أوراق المناشير، تعلو وتهبط، ترطم وجوه العابرين وأجسادهم، أخرج يده يريد التقاط أحدها، فزجرته أمّه إلى الخلف ثمّ صرخت: «أين عليّ؟ نسيت علي» توقّفت السيارة الشيفروليه السوداء، ترجّل زوج عمّته وهو يعدل طاقيته، أوقفه والده الذي فقد ساقه، فإن لم يذهب هو ليحضر ابنه فليذهب أخوه.

المدينة غارقة في ظهيرة ذلك النهار، غطّت المناشير الأرض، كان يحاول قراءة ما فيها لكنّه كان يريد العودة بأخيه باقصى سرعة كما وصّوه. لم يجد أحدًا في الملجأ، فكّر أنّه قد يكون هرب مع عائلة ثانية، أراد العودة فالجميع ينتظره، ووقف إطلاق النّار لا يستمرّ أكثر من ساعة نصفها قد انقضى. خلا الشّارع، الشمس وحدها كانت تتسيّد المشهد، الملجأ لا يبعد عن بيتهم سوى أمتار قليلة. الهواء يشتدّ رغم الحرّ والشمس، شعر أنّه وحيد ويائس، مشى حتّى وصل الدّار، صوانها منزوع، بابها الحديدي لم يعد بجرسها، لا بدّ أخذه اللصوص، سمع الكثير عن حكاياتهم في الملجأ، لصوص الحرب، غربان الليل كما يدعوهم زوج عمّته الذي ندم على عودته من الكويت، والذي بات تفكهة مجالس لعب الورق في الملجأ «إجيت وجبت الحرب، رجاع وخدها معك» كانوا يضحكون رغم الحرب. دخل ببطء لم يعتده في نفسه، هو المتهوّر الشرس الذي يعرف الجميع سرعته في الركض وتفوّقه في مباريات كرة القدم، البيت بارد، الردم والتراب يغطي كلّ شيء، الموجود من الأثاث تكسّر ولم يعد صالحًا للاستعمال، فتحة كبيرة في سقف الصالة، مكانها خبّأت أمّه ذهبها، لكنّ اللصوص يشتمّون رائحة الذّهب كما تشتمّ الكلاب البوليسيّة الأثر، لن يخبرها أنّ ذهبها قد سُرق، ولن يخبرها أنّ خطّتها في دفن الغسّالة والثلّاجة والمكيف لم تنجح كذلك، فالقبور التي وضعوها فيها منبوشة وقد ترك اللصوص لافتة كتبوا عليها بالدّم «عظّم الله أجركم». عاد الهواء يلفح وجهه، هذه المرّة أكثر طراوة وبرودة، جلس أمام العتبة على الدّرج الذي يؤدّي إلى الحديقة، لم يخف أن يتركوه، ورقة من أوراق المناشير التي غطّت شوارع المدينة طارت، راها تدخل من إحدى فتحات القنابل التي حوّلت جدران البيت إلى جسد أصيب بالجدري ولم يتعافَ من آثاره. استقرّت أمامه، مدّ يده وما كاد يفعل حتّى استحالت بنتًا. لم يصدّق ما رأت عيناه، المكان لا يتّسع للأحلام، ربّما هو يحيا كابوسًا، لكنّ جمالها كان أرقّ من أن يصدّق أنّها قد تأتي في كابوس. أشارت إليه بصمت، لم يفهم إشارتها، فظلّت يدها ممدودة تشير إلى مكان. نظر نحو المكان فإذا بها هناك.

بيت ريفيّ متواضع، حزم القشّ مركونة وبقرات ثلاث تتكاسل وهي ترعى، سيّدة عجوز تجلس تراقب، نسوة يمشين مع الغياب نحو أحد الأفران، يقفن بباب العجوز يسألنها إن كانت تحتاج إلى الخبز، تشكرهنّ فتلحّ إحداهنّ عليها أن تطلب، فالخبز شحّ والتجوّل ممنوع والطائرات لا ترحم أحدًا. تقول العجوز إنّها لا تحتاج فهي وحفيدتها تتدبران أمرهما. تسير النسوة بوَجَل في أوّل العتمة، وحين يختفين تدخل العجوز، تنادي حفيدتها الشقراء، تجلسان ثمّ فجأة يطرق الباب غرباء، وجوههم مغطّاة بالسّواد، يفتّشون بعيونهم المكان، تقع عين أحدهم على البنت الحلوة، يطلب ماء، تنظر إلى يدي جدّتها فتراهما ترتجفان خوفًا، تقصد المطبخ، تأتيه بكوب ماء وحين يرفعه إلى فمه، ترفع سلاحها وتهدّده، «إن اقتربت منّي سأقتل نفسي وجدتي» تأمره أن يرحل، يتراجع، تغلق الباب، تحضن جدّتها، لكنّه يعود. تلمح النسوة باب العجوز مفتوحًا، تنادي إحداهنّ عليها، وحين لا ترد، تقترب رغم خوفها من الطائرة، تستعجلها الأخريات، تصرخ فزعة.

(كاتبة فلسطينية مقيمة في لبنان)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

«امرأة تحمل ثقل ماضيها ومستقبلها» لـ ناديا ارشيد غيلبرت، طباعة فوتوغرافية رقمية (من المشاركة الفلسطينية في بينالي البندقية)

نصوص

إنّه عُواء البلدوزر والرّصاص وأعاصير الموت

كيف يُعاد الحقّ لصاحبه؟

راضية تومي

(إلى روح الشهيدة شيرين أبو عاقلة)

أنا صاحب الأرض
اسمها العنصريّة
وتبدأ بملامح الوجه
تقول العنصرية: حدّق جيّداً في الوجه
سترى الفرق
سترى علامة التفوّق
وقد لا تراها
ثم الأيدي
هناك أيد تستحقّ المصافحة والمحبة
وأخرى لا
ثم المشاعر
مشاعر الآخرين مجرّد فقاعات صابونيّة
والأطراف؟ هل أطرافهم خشبيّة؟
هل يفكّرون؟
اسمها ع ن ص ر ي ة
وهي برجلين وبعينين جاحظتين وبصوت
وبأكُف ضخمة
إنها تمشي بيننا وتتنفس كتنّين خرافيّ
يلفح نوايانا الثابتة بنار قراراتٍ عُليا.

«الآخرون لن يكونوا أبداً مثلنا،
نحن الأسمى»، مقولةٌ عنصرية.

■■■

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان
المادّة 3: «لكلّ فرد الحقّ في الحياة والحرّية وفي الأمان على شخصه».
هل من حريّة في أرضٍ مُحتلّة؟
هل يشعر مَنْ احتُلّ وطنُه بالأمان على شخصه في الأرض التي أسالت اللّعاب؟
هل لكم أن تُخبرونا كيف يُعاد الحقّ لصاحبه؟
موضوع مُعقّد صعبٌ مَتاهيٌ حسّاس
مصطلحاته ذات وجهَين مثل العُملة
الظالم يلعب دور المظلوم والمظلوم يصبح ظالماً
أمّا الحقّ فبيمنحه الأقوياء لِمَن يشاؤون.
المُصطلح مزاجيٌّ هوائيٌّ أم هُم المزاجيون...؟
فكّر بقلبك أو بعقلك أو بجيبك أو بضمير مُنحاز أو غير مُنحاز
هل تقدر أن تُفكّر بحرّية؟
أعطِ لنفسك الجواب
وتكلّم.

المادّة 2: «لكلّ إنسان حقّ التمتع بجميع الحقوق والحرّيات المذكورة في هذا الإعلان، دونما تمييز من أيّ نوع، ولا سيما التمييز بسبب العنصر، أو اللّون، أو الجنس، أو اللّغة، أو الدّين، أو الرّأي سياسيًا وغير سياسي...».
وكيف يُبرّد على مَن يطالب بحرّية بلاده؟
وكيف يسمّون المناضل مَن أجل تحرير الوطن؟
وكيف يُعامَل ابن البلد وبنت البلد وهما يصرخان: هذا بلدنا، غادروه يا لصوص عودوا من حيث جئتم
إنّه عُواء البلدوزر والرّصاص وأعاصير الموت والقنابل والصّواريخ
والتعذيب في صقيع السجون.
ربّما لم يقرأ المحتلّ بعد المادّة 5: «لا يجوز إخضاع أحد للتعذيب ولا للمعاملة أو العقوبة القاسية أو اللاإنسانية أو الحاطة بالكرامة».
فمَن منهما الإنسان؟ وأين غاب الإنسان؟
دخلوا عُنوةً، سرقوا، امتلكوا، غيّروا المُسمّيات والسّرديات
حَكوا حكايتهم
خرّبوا ألواح التاريخ ليكتبوا التاريخ
بأصابع ليس فيها عِطر القداسة.

■■■

الوصيّة السادسة
قال لهم بهوَه: «لا تَقْتُلْ»
لكنهم عذّبوا وقتلوا واغتالوا صاحب الأرض
واشتهوا ما في يد القريب والبعيد
اشتهوا ما ليس لهم: البيت والأمان والتراب والهواء
وخُضرة التلال وطعم الزيتون والماء
وصلاةً تُتلى في الخفاء
اشتهوا تاريخ الآخر
وخطّفوا الألواح.

(شاعرة من الجزائر)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

من الجناح الفلسطيني في «بينالي البندقية» (تصوير قاسم)

فعاليات

عند السادسة من مساء السبت المقبل، يستضيف «بيت المعمار المصري» في القاهرة محاضرةً للباحث والمتخصّص في الآثار الإسلامية **يوسف اسامة**، يتناول فيها **تاريخ مسجد الظاهر بيبرس البندقداري** وخصوصيّته المعمارية. يُعدّ الجامع من بين الاقدم في العاصمة المصرية، إذ يعود إنشاؤه الى عام 1268.

تحت عنوان **ضياع/ عودة إلى بيروت**، يقدّم الموسيقي اللبناني **رامي خليفة** حفلتين في فرنَيْ «البيت العربي» في قرطبة، عند الثامنة من مساء الثلاثاء، 21 من حزيران/ يونيو الجاري، وفي مدريد، عند السابعة والنصف من مساء الخميس الذي يليه. ويقدّم خليفة أعمالاً فردية على البيانو يُحاور فيها مشاهدَ من أفلام ومقاطع مصوّرة حول بيروت تُعرض وراءه على الشاشة.

تُتيح منصّة «مزنه»، بين 23 و26 من الشهر الجاري، مشاهدةَ فيلمَيْ **سميرنا** و**الفيلم الضائع** لـ**جوانا حاجي توما** و**خليل جريج** على موقعها. يتناول **الفيلم الضائع** رحلة بحث المخرجَين عن أوّل شريط سينمائي أُخرج في اليمن، في حين يوثّق **سميرنا** (الصورة)، لحوارات بين **حاجي توما** والشاعرة **إيتيل عدنان**.

حتى الرابع والعشرين من حزيران/ يونيو الجاري، يستضيف غاليري «25 كونسبت» في باريس معرضًا للفنانة السورية **ريم يسّوف** بعنوان **عبور**. تقدّم يسّوف مجموعة من اللوحات التي تموج اللون فيها بموادّ صلبة، و تسائل عبرها موضوع الذاكرة، حيث تركّز على النحو الذي تتغيّر فيه تمثّلاتنا عن احداث ماضية.